طرق الحج في بوركينافاسو منذ القدم قبل ظهور وسائل النقل الحديثة

أ. سيسي محمود

المستخلص:

تناول هذا البحث:"طرق الحج في بوركينافاسو منذ القدم قبل ظهور وسائل النقل الحديثة" ثم التعرف على الطرق الحديثة ومقارنتها بالطرق القديمة من حيث الآثار والنتائج و دور طرق الحج في انتشار الإسلام في بوركينافاسو ومساهمة المجتمعات المحلية في هذه الطرق في تسهيل مهمة عبور الحجاج مع ذكر الطرق التي سلكوها ودوافع السفر وعلاقته بالقضايا الثقافية والاقتصادية والاجتماعية وأماكن مرورهم وحالهم أثناء السفر من حيث المعاناة والصبر واحتكاكهم مع الشعوب الإسلامية الأخرى وما نتج عن ذلك من تداخل الثقافات واللغات خاصة الثقافة الإسلامية واللغة العربية التي تبوأت مكاناً في لغة موري(وهي أكثر اللغات انتشاراً في أوساط البوركينيين).

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي والتاريخي كما تتناول أهم الوثائق والمصادر المتعلقة بالموضوع وكذلك إجراء مقابلات مع الشخصيات الأكاديمية والمرجعية.

قسم الدراسة إلى خمسة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: نبذة تعريفية عن بوركينافاسو ودخول الإسلام فيها.

المبحث الثاني:طرق الحج التقليدية والحديثة وإجراء مقارنة بينها من حيث الآثار والنتائج.

المبحث الثالث: آثار رحلة الحج على المجتمع البوركيني اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً.

المبحث الرابع: الرؤية المستقبلية في طرق الحج التقليدية والحديثة.

المبحث الخامس: الخاتمة والتوصيات والمقترحات.

Abstract

This research tackles "the Hajj (pilgrimage to Makkah) routes in Burkina Faso since ancient times before the advent of modern transportation" as well as to identify the modern routes and compare them with the old ones in terms of impact and results. It is also aimed at identifying the role of Hajj routes in the spread of Islam in Burkina Faso as well as the contribution of the local communities around these routes to facilitate the passage of pilgrims, indicating the routes in which they passed through as well as the motivation of their travelling and its relevance to social, cultural and economical issues in addition to the places that they have passed through and their status quo while travelling in terms of challenges, patience and their contact with other Islamic societies and the interference of culture and language,as result of this contact some words were adopted into(Moore) language which is the most widely spoken in Burkina Faso. Descriptive and historical approaches have been used as well as the most important documents and resources which related to this research, the researcher also conducts interviews with academicians and referees. The study is divided into five sections as the following:

Section one is the outline of Burkina Faso and the penetration of Islam. Section two is traditional and modern Hajj routes and comparing them in terms of impact and results.

Section three is about the impact of Hajj voyage on the community of Burkina Faso socially, culturally and economically. Section four handled the future vision on the traditional and modern Hajj routes. Section five is about conclusion recommendations and propositions.

المبحث الأول: نبذة تعريفية عن بوركينافاسو ودخول الإسلام:

موقع بوركينافاسو:

تقع بوركينافاسو في قلب إفريقيا الغربية، تحدّها من الشرق جمهورية النيجر، ومن الغرب كوت ديفوار(ساحل العاج) ومن الشمال مالي، ومن الجنوب غانا وتوغو وبنين . وبحكم موقعها الجغرافي لا تتمتع بمنفذ على البحر، وكونها في عمق منطقة بلاد السودان تحظى بمناخ استوائي ذي فصلين: الأول جاف ويمتد من شهر مارس إلى شهر يونيو. والثاني ممطر ويستمر من شهر يوليو حتى شهر أكتوبر. أمّا الفترة التي تمتد من نوفمبر، فهي مثالية للسفر والسياحة من حيث المناخ المعتدل . وتبلغ مساحتها ٢٧٤.٣٠٠ كم٢.[١] ويبلغ عدد سكانها ١٨ ١٠٥ ٥٧٠ مليون نسمة في٢٠١٥م. كانت بوركينافاسو (فولتا العليا) قسماً من مملكة مالي الإسلامية منذ القرن الخامس عشر، ثم خضعت لمملكة (سونغاي) . وبعد تفتت المملكة اتخذت بوركينافاسو (فولتا العليا) مدينة واغادوغو عاصمة لها .

وفي نهاية القرن التاسع عشر أصبح هذا الشعب محور تجاذب بين القوى الاستعمارية المختلفة كفرنسا، وانجلترا، وألمانيا . ولكن في أواخر عام ١٨٩٦م حسم القائد الفرنسي فوليه شانوان (Voulet Chanoine) الموقف عندما أحكم سيطرته التامّة على هذه الدولة التي كانت تُدعى سابقاً بـ(فولتا العليا) (Haute Volta) . أمّا في عام ١٩٠٤م فقد انضمت هذه البقعة إلى إقليم السنغال العالي الذي ما لبث أن تفتت عام ١٩١٩م تاركاً هذه الدولة تقرر مصيرها بنفسها في خِضَمِّ التجاذبات السياسية آنذاك، مما أسفر عن انقسامها وضمّ جزء منها إلى ساحل العاج والجزء الآخر إلى السودان الغربي (مالي حالياً) والنيجر. [٢]

وفي عام ١٩٤٧م أُعيد تجميع أجزاء هذه الدولة بفضل نضال شعوبها، واستقرت أخيراً تحت الانتداب الفرنسي إلى حين إعلانها جمهورية مستقلة في ٥ أغسطس عام ١٩٦٠م . وبعد مرور ٢٣ عاماً على استقلالها، تعرّضت هذه الدولة إلى انتفاضة شعبية أسفرت عن مجيء الثورة الشعبية الديمقراطية إلى الحكم في الرابع من أغسطس ١٩٨٣م . وفي مناسبة مرور الذكرى الأولى على هذه الانتفاضة قامت الحكومة المنبثقة منها بتحويل الاسم من فولتا العليا إلى (بوركينافاسو)، كما بدّلت النشيد الوطني للبلاد ووضعت عَلماً جديداً مُكوّناً من اللونين الأخضر والأحمر في شكل أفقي تتوسّطه نجمة مُذهّبة . وكلمة (بوركينا) تعني الأحرار الشّرفاء، أما كلمة (فاسو) فتعني الوطن . إذن فكلمة (بوركينافاسو) تعني: وطن الأحرار الشرفاء . وكان شعارها: "الوطن أو الموت، سننتصر" أما الآن فشعارها: "الوحدة والتقدم والعدالة"[٣].

---

[١] سيسي محمود، تقويم، تقويم أساليب الإشراف التربوي في المدارس الابتدائية الفرنسية الحكومية وتطبيقها في المدارس الابتدائية العربية الفرنسية الأهلية في بوركينافاسو، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، الخرطوم،٢٠٠٧ ص ٢٠.

[٢] المصدر السابق.

[٣] المرجع الساق.

أهم المدن:

تنقسم بوركينافاسو إلى ٤٥ ولاية، وأهمّ مدنها:

١- واغادوغو: العاصمة السياسية .

٢- بوبوديولاسو: العاصمة الاقتصادية .

٣- كودوغو: تتميز بصناعة النّسيج .

٤- واهيغويا: فيها قصر نابا كانغو أحد كبار ملوك مملكة موسي.

٥- بانفورا: هي ولاية تكثر فيها الشّلالات المائية.

الديانة:

* ٦٠.٥ % من مجموع السكان مسلمون وفقاً للإحصائيات الرسمية لعام ٢٠٠٦م.

* ٢٣.٢% مسيحيون و١٩% كاثوليك و٤.٢% بروتستان و٠.٦ ديانات أخرى و٠.٤ لا دينيين.

العملة الوطنية:

عملة بوركينافاسو هي الفرنك سيفا (FRANC CEFA) الصادر عن المصرف المركزي لإفريقيا الغربية .

اللغة الرسمية:

اللغة الرسمية في بوركينافاسو هي الفرنسية، كما توجد ثلاث لغات قومية وهي:

١- لغة موري (Mooré).

٢- لغة ديولا (Dioula) .

٣- اللغة الفولانية (Peulh) .

وهناك أكثر من ستين لغة ولهجة أخرى محلية .

دخول الإسلام في بوركينافاسو (فولتا العليا سابقاً):

أطلق التجار والرحالة والجغرافيون العرب في القرون الوسيطة اسم السودان الغربي على المناطق التي تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى انحناء نهر النيجر في الشرق. ويجدر بالذكر أنه كان في هذه المنطقة مملكتان عظيمتان تحدّث عنهما الرحالة العربي الشهير البكري وهما مملكة غانا ومملكة مالي. وتأسست مملكة غانا في الفترة مابين القرن الرابع والقرن الخامس الميلاديين وكانت هذه المنطقة من أكثر مناطق القارة الأفريقية تأثراً بالإسلام والثقافة الإسلامية التي جاءت إليها عبر التسرّب السلمي من الشمال الأفريقي إلى ماوراء الصحراء الكبرى مع التجار والرعاة ورجال الطرق الصوفية بدءاً من القرن الثامن الميلادي بعد أن استقر الإسلام في الشمال الأفريقي الذي أطلق عليه أيضا الجغرافيون العرب اسم بلاد البيضان. وسيطرت مملكة غانا على السودان الغربي بأكمله، غير أنها سقطت في عام ١٠٧٦ ميلادية تحت ضربات قوات المرابطين المغاربة، وقد كانت أهم القبائل التي سكنت تلك المنطقة قبائل السوننكي والديولا والماندينقو التي اعتنقت جميعها الدين الإسلامي تحت ضغط وربما إغراء الحروب التي شنها عليها المرابطون بقيادة عبد الله بن ياسين. وبعد سقوط دولة غانا قامت في المنطقة مملكة مالي الإسلامية.وفي القرن الخامس عشر اجتذبت منطقة فولتا العليا التجار المسلمين

والمستوطنين من قبيلة أكان وذلك لإتاحة الفرصة أمام التجارة في تبادل الذهب والمكسرات والكولا والملح.[٤] وكان بعض هؤلاء التجار من الشعوب الناطقة باللغة السوننكية من تمبكتو وجينيه الذين اعتمدوا في وقت لاحق لهجة قبيلة ماندينقو التي أصبحت تعرف باسم ديولا. استقروا بعد ذلك في مدن بوبوديولاسو، وكونغ، وبوندوكو، وغيرها من الأماكن التي تؤدي إلى حقول الذهب. التجار الآخرون جاؤوا من كنيم وبورنو ومملكة الهوسا (من نيجيريا) التي انتقلت إلى مدن غونجا وداغومبا وأجزاء أخرى من منطقة فولتا. تزوج المسلمون من النساء المحليات وأسسوا عائلات تمازجت مع المجتمع هناك حيث الأب مسلم والأم من السكان الأصليين. وظهرت طبقة العلماء المعروفة باسم كاراموكو الذين تلقوا تعليمهم حول القرآن الكريم والحديث وعلم التفسير والسيرة النبوية حيث احتكوا بأهالي البلاد، وانخرطوا في أوساطهم بأخلاقهم الحميدة، وتعاملهم الممتاز بشكل خلَق نوعًا من الفضول في أوساطهم للتعرف على الإسلام، واعتنقه الآلاف منهم تأسيًا بطبائع المسلمين، واستمرت الدعوة في تحقيق النجاح تلو الآخر، واخترقت كافة بقاع البلاد، إلى أن ابتُليت فولتا العليا بالاستعمار الفرنسي، وبسياسات تهدف لتجفيف منابع الإسلام واقتلاعه من عقول وقلوب معتنقيه؛ عبر إغلاق المؤسسات والمدارس الإسلامية، وإشاعة الأميَّة والجهل في أوساط الأغلبية الساحقة من المسلمين، وتكريس سيطرة النُّخبة النصرانية على الحُكم حتى بعد خروج الاستعمار [٥] وحتى نهاية القرن التاسع عشر كانت مملكة موسى تسيطر على فولتا العليا ودافعت عن معتقداتهم الدينية ضد التأثيرات الإسلامية من المسلمين في شمال غرب البلاد كما لم يكن هناك حتى ذلك الوقت سوى ٣٠ ألف مسلم ولكن بحلول 1959م كان هناك ٨٠٠ ألف مسلم أي ما يقرب من ٢٠ في المائة من السكان. [٦]

المبحث الثاني: طرق الحج التقليدية والحديثة وإجراء المقارنة بينها من حيث الآثار والنتائج:

تشير الروايات المكتوبة والشفوية المتداولة إلى أنّ الطرق التقليدية التي سلكها الحجاج منذ القرن الرابع عشر الميلادي متعددة وأبرزها طريقتان اثنتان هما جمهورية مصر العربية وجمهورية السودان.

الطريقة الأولى: هي من مملكة موسي(فولتا العليا) إلى مملكة مالي حيث بدأ معظم العلماء المسلمين من فولتا العليا تعاليمهم الدينية على يد علماء تمبكتو وسيقو وموبتي وكانت مصر آنذاك المحطة التي يتوقف عندها الحجاج القادمون من غرب أفريقيا في طريقهم إلى الحجاز لأداء مناسك الحج وأكبر دليل على ذلك ما وصف لنا الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة حين زار هذه المنطقة في ١٣٥٢م في عهد الملك منسَا موسى الذي قام بقضاء فريضة الحج في عام ١٣٢٤م بأداء رحلته من تمبكتو مع جمع غفير من حاشيته المشتملين على علماء هذه المنطقة من ضمنهم الذين جاؤوا من مملكة موسى لأداء

---

[٤] محاضرات السفير الدكتور عمر عبد الماجد،المركز القومي للدراسات الدبلوماسية، وزارة الخارجية، الخرطوم، السودان، انظر أيضا عمر عبد الماجد، تاريخ الدول والإمبراطوريات الإسلامية في السودان الغربي والأوسط، مركز الدراسات، الخرطوم، ٢٠٠٥م

[٥] حوار مع الشيخ محمود باندي، رئيس لجنة الشؤون الإسلامية بالجمعية الإسلامية في بوركينا فاسو، وغادوغو منقول عبر الموقع http://www.alukah.net/world_muslims

[٦] https://ar.wikipedia.org/wiki/

فريضة الحج الشيء الذي أدهش الشعوب العربية حينذاك خاصة في مصر والأراضي المقدسة نظرا للثروات الهائلة التي حملوها معهم إلى مدينة القاهرة في اليوم السادس عشر من شهر رجب سنة ٧٢٤ هـ / العاشر من مايو سنة ١٣٢٤ م، والتي ضمت بحسب بعض المصادر ٦٠ ألف شخص، من بينهم ١٢ ألفاً يحملون أطناناً من الذهب، وأغدق الذهب على كل المناطق التي مر بها؛ ومن بينها القاهرة والمدينة المنورة، مما خفض سعر الذهب لفترة طويلة. كما قام الملك أسكيا محمد الذي حكم في الفترة مابين ١٤٩٣م-١٥٢٩م هو الآخر بأداء فريضة الحج في موكب عظيم من أتباعه [٧] وأنفق أموالاً طائلة أثناء هذه الرحلة قدرت حينذاك بمائة ألف قطعة من الذهب أنفقها جميعها في سبيل الله.[٨] وذكر كوندا أبوبكر باحث الدكتوراة من أبناء بوركينافاسو فيما رواه عن أجداده الذين قاموا برحلة الحج أنّ الحجاج من فولتا العليا كانوا في طريقهم يمكثون سنوات ويقومون بأعمال الخير منها من يزرع طول الموسم الزراعي وإذا صلحت الزراعة وحان وقت حصادها تركوها للطيور والبهائم يبتغي بذلك الأجر عند الله سبحانه وتعالى.[٩]

من أسباب هذه الرحلات:

١. كانت رحلة الحجاج بشكل عام ورحلة منسَا موسى بن أبى بكر الأسطورية بشكل خاص تجسيداً لشوق مسلمي غرب أفريقيا والممالك الإسلامية القديمة إلى الشرق المسلم حيث الحجاز منبت الدين الإسلامي وحيث المدينتين المقدستين: مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ وحيث يمكنهم أداء مناسك الحج لاستكمال أركان دينهم .
٢. كان الشرق العربي الإسلامي في تلك الفترة مركز الثقل في العالم المسلم ومستودع ميراث الحضارة العربية الإسلامية ومجدها الرائع، بعد الهجمات التي تعرض لها المغرب والأندلس الإسلامي من جانب الكاثوليك ؛ واجتياح المغول للشرق الإسلامي وإسقاط الخلافة العباسية في بغداد، حتى أوقفهم سلاطين المماليك بعدما هزموا جيوشهم في عين جالوت بفلسطين .
٣. لقد كانت القاهرة في تلك الفترة العاصمة الجاذبة للهجرة من كل أنحاء العالم المسلم بسبب ما كانت توفره من أمان وما تنعم به من ازدهار اقتصادي واستقرار سياسي وقوة ومهابة على الصعيد الإقليمي والعالمي.

ولم يكن شوق السفر إلى الشرق العربي وبلاد الحجاز خاصة قاصراً على الحكام وإنما امتد إلى رعاياهم الذين تكبدوا تكاليف الرحلة، وتجشموا مشقة السفر وخاطروا بعبور الصحراء بما تحويه من مخاوف ورهبة لتتويج حياتهم بهذه الرحلة العظيمة . ومثلما يفعل مسلمون كثر في جميع أنحاء العالم المسلم في مشارق الأرض ومغاربها اليوم، كان مسلمو غرب أفريقيا (مالي وفولتا العليا وغانا والنيجر والسنغال وغيرهم) يفضلون قضاء ما بقي لهم من العمر في رحاب البلاد الحجازية وفى المدينتين

---

[٧] عمر عبد الماجد مرجع سابق

[٨] http://archive.aawsat.com/details.asp

[٩] مقابلة مع أبوبكر كوندا من أبناء بوركينافاسو، وباحث الدكتوراة في علم اللغة التطبيقي، جامعة أفريقيا العالمية بتاريخ ٢٠١٦/٨/٢٦م، الخرطوم- السودان.

المقدستين: زواراً، وحجاجاً ومجاورين، ودارسين ومدرسين . وقد آثر بعضهم البقاء في مصر لأسباب متنوعة: تجاراً وطلاباً وعلماء حرفيين.[١٠]

وربما كان الأمر ذو أثر بالغ في هذه الصلات التي قامت بين غرب أفريقيا والشرق العربي يتمثل في التمسك بأحكام الشريعة الإسلامية الصحيحة التي أدخلها علماؤهم في بلادهم بعد أن تعلموا في القاهرة أو في الحجاز. ومنذ تلك الفترة صارت دول غرب أفريقيا مسلمة في بنيتها حيث تبنت ما تم نقله من الشرق العربي المسلم من عقائد وممارسات ومظاهر مادية ومعنوية.[١١]

الطريقة الثانية:هي من مملكة موسى (فولتا العليا) إلى السودان كدولة ممر وقد دلت الدراسة الميدانية التي قام الباحث بإجرائها والمتمثلة في المقابلات للشخصيات الأكاديمية والمرجعية وشهود على العصر .دلت الدراسة أنّ هناك عدة طرق فرعية من بوركينافاسو إلى السودان ثم إلى الحجاز.

الطريقة الفرعية الأولى (وفقاً للشخصية المرجعية وشاهد على العصر، الحاج عبد الله إسحاق عمر) من محافظة كودوغو شرقي البلاد، يقول وهو يروي سفره راجلاً إلى الأراضي المقدسة قائلاً: "أنا كنت ابن أحد عشر عاما وكنت في خلوة الشيخ صالح بونكونغو في محافظة كودوغو– فولتا العليا، قرر الشيخ أن يأخذنا كلنا إلى رحلة لأداء فريضة الحج ولتعلم العلوم الإسلامية في مكة المكرمة وكان عددنا ١٦ طالب خلوة من بيننا ولدان للشيخ ومع الشيخ نفسه ١٧".

كان طريقنا كالآتي:

خرجنا من محافظة كودوغو إلى بوبوديولاسو العاصمة الاقتصادية للبلاد ثم خرجنا من هناك إلى بواكي في شمالي كوت ديفوار وجلسنا هناك ستة أشهر ثم تحركنا ودخلنا مدينة كوماسي في غانا في عهد كوامي نكروما ومن غانا اتجهنا نحو داهومي ودولة بنين حالياً، وعندما وصلنا إلى داهومي عرف حاكم المدينة بذهابنا إلى الأراضي المقدسة فكتب لنا ورقة يطلب فيه تسهيل سفرنا حتى الخروج من داهومي وبالفعل كلما ضاق علينا الأمر في نقاط التفتيش نعرض لهم الورقة فيتركوننا للعبور حتى وصلنا إلى نيجيريا. يروي لنا الحاج عبد الله إسحاق عمر أنّ هناك صعوبات وتحديات عند العبور بالغابات لأنه يوجد بشر سحرة يتحولون إلى حيوانات مفترسة مثل الذئاب والأسود وغيرها لهجوم الناس وأكل لحوم البشر وبما أنّهم كانوا جماعة وكانوا يحملون الأسلحة البيضاء والرماح ويأخذون حذرهم في كل مكان فلم يتعرضوا لهجوم من هذه الحيوانات فمرّوا بمدن كثيرة في نيجيريا منها بيافرا وزاريا وجوس وسابوناكا وعند العبور في هذه المدن يحكي لنا أنّهم كانوا يعملون أعمالاً صغيرة خاصة بيع الماء حتى يجمعوا بعض المال ليصلوا إلى قمبارو المنطقة الواقعة بين نيجيريا والكامرون، وصلوا في الكامرون ووصلوا إلى مدينة ديكوا وقالوا إنّ رئيس الكامرون في ذلك الوقت اسمه أحمد إيجو في ١٩٦٣م تقريباً.

---

[١٠] عمر عبد الماجد مرجع سابق

[١١] مقابلة شخصية مع الحاج إسحاق عبد الله عمر قدم من محافظة –كودوغو–فولتا العليا قاصدا الحج منذ الستينيات من القرن الماضي ماشيا على الأقدام، موضوع المقابلة طرق الحج القديمة من فولتا العليا إلى مكة المكرمة، ٢٠١٦/٧/٣١م الساعة ٦ مساء بمنزل محمد عبد السلام أحمد عمر، بحيّ عد حسين، الخرطوم– السودان.

[١٢] يرى الباحث أنّ مسألة الحيوانات المفترسة قد لا تكون بشراً كما قيل وإنما حيوانات حقيقية والسبب في ذلك أنها في الغابات ولكن أعتقد أنّ كلام الحجاج كان اعتقاداً وظنوناً وفي الحقيقة سمعنا روايات خيالية كثيرة ولم نقم بكتابتها في هذه الدراسة لأنّها بعيدة كل البعد عن الحقيقة والمنطق. وصلنا بعد ذلك إلى مدينة قاروا في الكامرون تعرّف الشيخ بالرئيس فنادانا إلى بيته وطلب منا أن ندعوا له وقرأنا القرآن ثلاثة أيام وذبح بقرة ثم بعد ذلك كتب الرئيس أحمد إيجو أمراً أن يأخذونا بالسيارة إلى الحدود الكامرونية كوسيري. وعندما وصلنا إلى كوسيري ورأت شرطة نقاط التفتيش ما كتبه الرئيس قاموا احتراماً لنا وسهلوا علينا عبورنا. ويجدر بالذكر أنّ المجتمعات التي مررنا عليها كانوا يساعدوننا وحتى عالم واحد من علماء كدونا نيجيريا ساعدنا بالزاد وكان معنا حمير تحمل أمتعتنا وعندما وصلنا كدونا كان أحد حميرنا يعاني مرضاً فأخذه الأمير وبدله بحمارين لنا.

الطريقة الفرعية الثانية هي الأكثر استخداما في أكثر الأقوال المأخوذة من عينة الدراسة التي ذكرت أنّ الطريق من فولتا العليا ثم إلى النيجر وإلى نيجيريا ثم إلى الكامرون بالتحديد مدينة كوسيري الحدودية ثم إلى فارلامي (تشاد الحالية) ثم إلى جمهورية السودان عبر دارفور وإلى سواكن بورتسودان ثم جدة وإلى مكة المكرمة.ومنهم من يخرج من السودان إلى إريتريا عن طريق ميناء مصوع وعصب ثم إلى اليمن ثم إلى السعودية.فالشعب السوداني والحكومات المتعاقبة على مرّ التاريخ مشهورة بالكرم ونجدة الضيوف الحجاج وتقديم كل مساعدة وحماية يحتاجون إليها والمواطنون السودانيون أيضا يقدمون للحجاج المأوى والمأكل والملبس ويقدمون لهم مزارع ليعيشوا عليها ويساعدونهم بشتى السبل والوسائل ويقومون بتدريس الحجاج أصول الدين والعلوم الشرعية وكافة العلوم الإنسانية الأخرى، وكانت معاملة السودان للحجاج مثل معاملة الأنصار للمهاجرين في المدينة المنورة في فجر الإسلام. يقول محمد ألفونس موظف سابق بقنصلية فولتا العليا إنّ بعض الحجاج المهاجرين عندما وصلوا إلى السودان كانوا لا يملكون بعض الأوراق الثبوتية لأنّ بعضهم فقدوا أوراقهم أثناء السفر أو انتهت مدة صلاحيتها نتيجة مكوثهم أثناء السفر وغيرها. فلذلك عندما أصبح عدد المسافرين للحج كثير جداً في السودان كانت تأتي إلى السودان بعثات دبلوماسية لاستخراج جوازات وتصاريح السفر لتسهيل أمورهم حتى يتمكنوا من أداء شعيرة الحج والعودة لبلادهم، أذكر عل سبيل المثال لا الحصر: في السبعينيات أتى إلى السودان الحاج طاهر زيدا مبعوثاً إلى السودان من وزارة خارجية فولتا العليا ثم جاء بعده السيد كبوري كيابا ثم السيد فاليا حسين ثم السيد ثلاثة إسحاق أيضا لنفس الغرض.[١٣] ويتابع السيد محمد ألفونس كلامه قائلاً: [١٤] أنا عندما أتيت إلى السودان كان في السجل ١٤٦٠ شخصاً مسجلاً في قنصلية فولتا العليا يريدون السفر إلى الحج وكلهم جاؤوا من فولتا العليا سيراً على الأقدام من أجل الحج وكانت قنصلية فولتا العليا داخل

---

[١٢] مقابلة شخصية مع الحاج إسحاق عبد الله عمر، المرجع نفسه

[١٣] مقابلة مع محمد عبد المؤمن موسى،شاهد على العصر و موظف سابق قنصلية فولتا العليا عام ١٩٧٦م، دارت المقابلة في منزله في السجانة،الخرطوم – السودان. بتاريخ ٢٠١٦/٨/٧م

[١٤] مقابلة مع محمد ألفونس، موظف في قنصلية فولتا العليا منذ ١٩٨٠م حتى الآن، ودارت المقابلة في منزله في مايو، الخرطوم – السودان بتاريخ ٢٠١٦/٨/١٣م الساعة ٢ ظهرا.

السفارة الفرنسية ثم تحولت إلى العمارات شارع ٥١ بالخرطوم في الثمانينيات من القرن الماضي وقال أيضا: حكى لي العم عيسى وهو من مواليد ١٨٩٦م والمعروف بـ (عيسى كومبيسيري) أنه عندما ذهب إلى الحج كانوا يسكنون ما لا يقل عن كيلومتر واحد من الحرم ولكن إذا أرادوا الذهاب إلى الحرم يجتمعون ويذهبون جماعة لأنه توجد أسود بين مساكنهم وبين الحرم ويرى الباحث أنه ربما في ذلك الوقت توجد غابات كثيفة بالقرب من الحرم بالإضافة إلى كثرة الجبال المحيطة به في ذلك الوقت.

في عام ٢٠٠٢م عندما كان الباحث طالباً في جامعة إفريقيا العالمية خرج في قافلة دعوية مع الأساتذة الأجلاء إلى الولاية الشمالية وبالتحديد في قرية تدعى (بانت) في هذه القرية حيّ كامل يدعى (دار مالي) فسألتُ أهل القرية لماذا سمي هذا الحي بدار مالي فقالوا لي أنّ أهل غرب أفريقيا كانوا في قديم الزمان يأتون إلى هنا قاصدين الحج وكانوا ينزلون في هذا المكان وكان معظمهم من مالي فلذلك عرف هذا المكان بدار مالي وبقي الحي على هذا الاسم.

دور المرأة في طرق الحج القديمة:

ذكرت الحاجة عائشة يونس عبد الله المعروفة بـعائشة صوري أنّ للنساء دوراً كبيراً جداً في مسألة السفر براً إلى الحج فهن اللائي يقمن بإعداد إجراءت السفر وتجهيز الأطعمة في وقت مبكر جدا قبل السفر لضمان نجاح رحلة الحج وهي أطعمة شعبية في الغالب منها اللحوم الناشفة ودقيق مطحون ويصنع منه السويق أي من دقيق الدخن المطبوخ بالبخار. أما دور المرأة في الإيمانيات فهن أشبهن إلى الشيخات في طريق الحج لأنهن لا يتحدثن عن الدنيا بعد خروجهن من بيوتهن إلى الحج ومعظم كلامهن يتركز على كلام القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف إذ هنّ يلزمن حلقات علمية لقراءة القرآن ويتدارسنه ومنهن من حفظت العشماوي وكتب الفقه المالكي وغيرها.

إذا وصلت النساء مع أزواجهن أثناء سفرهن في قرية أو مدينة فإنّ النساء المواطنات يستقبلنهن استقبالاً حاراً في بيوتهن ويقدمن لهن الكسوة والأطعمة ويساعدنهن ببعض الأعمال الخفيفة لجمع الأموال من أجل مساعدة أزواجهن لمواصلة الرحلة. ذكرت أيضا أنّ هؤلاء النساء يتميّزن بالإيمان والتوحيد والصبر ومهما بلغن من العذاب والفقر هن وأزواجهن فإنهم إذا وجدوا مبلغا من المال واقعا على الطريق مهما بلغ قيمته لا يأخذونه.[١٥]

طرق الحج الحديثة:

أمّا طرق الحج الحديثة فمنذ أن توفرت الوسائل الحديثة من السيارات والطائرات أصبح الأمر سهلاً جداً، خاصة أنّ في بوركينافاسو الآن ما لا يقل عن ٣٨ وكالة حج وعمرة مسجلة رسمياً تقوم بالإجراءات المتعلقة بالحج والعمرة بالتنسيق مع السلطات الوطنية والسعودية مما جعل الشخص الذي ينوي السفر للحج ليس عليه إلاّ الاتصال بهذه الوكالات ويدفع الأموال المطلوب دفعها ثم يقوم بمتابعة الفحوصات الطبية وغيرها إلى يوم الانطلاق من المطارات في وغادوغو العاصمة السياسية أو في مدينة بوبوديولاسو في العاصمة الاقتصادية والهبوط في مطار جدة في المملكة العربية السعودية.

---

[١٥] مقابلة مع الحاجة عائشة يونس عبد الله، المعروفة بالحاجة عائشة صوري، دور المرأة في طرق الحج القديمة، جرت المقابلة في منزلها في الحاج يوسف، الخرطوم، السودان، ١٣بتاريخ /٢٠١٦/٨م

المقارنة بينها من حيث الآثار والنتائج:

طرق الحج قديماً عبارة عن مدرسة؛ إما أن تسافر عالماً أو متعلماً فالعلماء كانوا يسافرون وهم في طريقهم يقيمون مجالس علمية ينتفع بها الناس فعلى سبيل المثال خرج العالم المشهور الشيخ علي الملقب بـــ (كيلموري) وهو من محافظة بام(كونغوسي) في وسط البلاد ومعه طلاب الخلوة التي أسسها هو بنفسه وكان يلقي محاضرات في الأماكن التي ينزلون فيها وهم في طريقهم إلى الحج وقد ترك كيلموري أثراً وبصمة واضحة في علمائنا الأجلاء في بوركينافاسو. يحكى أنّ كيلموري عندما وصل في فورت لامي(انجمينا حالياً) منعهم القوات الاستعمارية من المرور على جسر الواقع في مدخل فورت لامي(انجمينا) وكان يوجد جمع غفير من أنحاء إفريقيا أوقفتهم القوات الاستعمارية كذلك، فدعا الشيخ الله على الملأ وبعد الانتهاء من الدعاء ذهب إليهم وطلب الإذن للمرور فسمحوا له أن يختار من الجمع مجموعة للمرور معه فقام كل الناس يطلب منه أن يختاره وبذلك أذنت له السلطات الاستعمارية فمرّ هو ومن معه. بينما نجد أنّ الطرق الحديثة الآن يتم السفر خلال ساعات من المطارات الدولية في بوركينافاسو والهبوط في جدة مباشرة.[١٦]

ومن أثر الحج أيضا أنّ كثيراً من العلماء الذين سافروا إلى الحج قديماً مكثوا في الأراضي المقدسة لتلقي العلوم الشرعية على أيدي العلماء في السعودية ورجعوا إلى بلادهم لتعليم العلوم الإسلامية فعلى سبيل المثال أصبح الحاج شعبان كوندا في محافظة (كايا) أول مفسر للقرآن الكريم في منطقته بعد أن رجع من الحج في وقت مبكر و الحاج سنوسا بويتنغا وأمثالهم كثر.

ففي محافظة (سانماتينغا) وبالتحديد في (كالومباوغو) هناك جبل كان يعتبر مقراً للأوثان ويُتقرّب إليه الناس فعندما رجع هؤلاء المذكورون حاربوا هذه الظاهرة وقضوا عليها.[١٧]

المقارنة بين الحج قديما والحج حديثا في بوركينافاسو من حيث الآثار والنتائج	
الحج قديما	الحج حديثا
التكلفة قليلة والحجاج قليلون.	التكلفة باهظة والحجاج كثيرون.
السفر شاق جدًا من حيث الوسائل	السفر سهل جدا من حيث الوسائل
وليمة رمزية بعد العودة من الحج	وليمة بأموال طائلة
الجود بالموجود مما يحبب الفقراء في أداء فريضة الحج	الوليمة فوق الطاقة مما ينفّر الفقراء من أداء فريضة الحج نظرا لهمّ الوليمة
الإنسان يعيش ليحج ويكمل أركان الإسلام الخمس ولو انتهى به الأمر أن يلقى الله في سبيل ذلك	الحج عبارة عن استطاعة وأصبح الآن موضة عند بعض الناس حتى يظهر لهم إمكانياته

[١٦] مقابلة مع الشيخ سيساغو حميد شاهد على العصر، من أبناء الحجاج الأوائل من محافظة سانماتينغا. داخلية المودودي، جامعة أفريقيا العالمية بتاريخ ٢٠١٦/٩/٤م

[١٧] المرجع نفسه

المقارنة بين الحاج قديما والحاج حديثا في بوركينافاسو	
الحاج قديما	الحاج حديثا
يتميّز بقوة التوحيد الثابت	التوحيد موجود ولكن يزيد وينقص
يتميّز بالزهد والتوكل على الله في الحدود الشرعية	يبالغون في البذخ وإقامة المراسم لاستقبال الحجاج الأمر الذي يشوّق الشباب للذهاب إلى الحج.
التقوى في كل شيء	يعتبرون الحج هو التقوى؛ فالإنسان قبل أن يحج يمكن أن يمارس بعض المحرمات أما بعد الحج فتحرم قطعا. لذلك تجد بعض الناس غير الحجاج يرتكب المحرمات وإذا ابتلى الله أحد الحجاج بارتكاب محرم ولو عفويا.

مراسم استقبال الحاج في بوركينافاسو في العصر الحديث:

الحج في العصر الحديث في بوركينافاسو مظهر من مظاهر الفخر والاعتزاز في أوساط المجتمع البوركينى. يبدأ استقبال الحاج في المطار جمع غفير من عشيرته وقبيلته وأصدقائه ومعارفه بزيّ موحد ومجرّد ظهور الحاج من المطار يتوق كل واحد أن يكون أول من يصافح الحاج الجديد،ويرافقونه أولاً إلى منزل الضيافة غير بيته الحقيقي ليتجمع الناس هناك ثم الانطلاق معه إلى مسقط رأسه، وهذه المرافقة تكون بالسيارات وبالدراجات النارية وعند الوصول في البيت نجد أنّ الناس خرجوا ويكون الرجال في صف والنساء في صف آخر ويصافح الحاج الجديد الرجال أما النساء فيكفي برفع يديه. يتوضأ الكل ثم يتوجه الحاج الجديد مع الجماعة ويصلي ركعتين في أحد المساجد وبعد السلام يُرجى من الحاج الجديد أن يقدم كلمة وعظ وإرشاد ثم يدعو للجميع، وبعد ذلك يتقدم الجماعة لتناول وجبة الوليمة والحلويات والتمور وغيرها. وقبل تناول الوجبة يصب ماء زمزم في برميل كبير يختلط بالماء فيشرب الناس منه. وبعد ذلك تتم مرافقة الحاج الجديد بالمديح النبوي الشريف والقصائد إلى داخل بيته الخاص، وفي الأيام التالية يتوافد الناس رجالاً ونساء بهدايا إلى بيت الحاج الجديد وهو بالمقابل يقدم لهم الملابس مثل الجلابية السعودية والقلنسوات وماء الزمزم وغيرها من الأشياء التي اشتراها في الأراضي المقدسة. [١٨]

المبحث الثالث: آثار رحلة الحج على المجتمع البوركينى اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً:

يذكر الحاج عبد الله إسحاق عمر ومحمد عبد المؤمن ومحمد عبد السلام ومحمد ألفونس وغيرهم مؤكدين أنّه كان من ضمن حجاج فولتا العليا الأوائل من عملوا في حراسة الكعبة المشرفة كما كان منهم حراس الأمراء في عهد الملك فيصل، لأنّ في ذلك الوقت لم يكن عدد الحجاج كثيراً كما هو الحال الآن وبالتالي لم يكن هناك أسئلة عن الهوية والإقامة وكانت الهوية الجامعة هي الهوية الإسلامية ولم يكن هناك طرد للأجانب على الإطلاق. عليه يجدر بالذكر أنّ هؤلاء الحراس والعاملين من فولتا العليا كانوا يقومون بخدمة الكعبة المشرفة والملوك محتسبون بذلك الأجر عند الله. كان الحجاج يقومون

[١٨] ملاحظات الباحث، وسيد محمود مرجع سابق.

بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بادئاً بنفسه حيث كان معظم الحجاج قبل أداء فريضة الحج يؤمنون بالسحر ولكن معظمهم قاموا بحرق ما يملكون من السحر والكجور بعد عودتهم من الحج وحتى بعضهم قاموا بحرقها حتى قبل أداء الفريضة.

أثر الحجاج والدعاة في نشر الإسلام في بوركينافاسو (فولتا العليا سابقاً):

وفقا للبحث الميداني الذي أجرته هذه الدراسة وملاحظات الباحث نفسه تم تقسيم مسار الدعوة الإسلامية في بوركينافاسو إلى ثلاثة أطوار رئيسة وهي:

الطور الأول ويسمى بالطور التكويني:

وهي الفترة التي شهدت بدايات دخول المؤثرات الإسلامية في البلاد وقام بأمر الدعوة في هذا الطور الدعاة والحجاج والتجار، حيث كان العلماء المسلمين من أبناء البلد خرجوا إلى الحج بالطرق التقليدية القديمة التي استمرت عاملاً مهماً لنشر التعليم الإسلامي واللغة العربية وفرصة لتجمع فطاحل العلماء من كل صوب وبفضل هؤلاء الحجاج والعلماء والفقهاء أخذت مدن كثيرة شعلة العلم والمعرفة.[١٩]

ومن الجهود الدعوية للحجاج:

١. محاربة الوثنية التي كانت منتشرة في فولتا العليا.
٢. تعريف الإسلام.
٣. إلزام من أسلم منهم بأداء الفرائض ومن أهمها فريضة الصلاة.

وقد ركز الدعاة والحجاج في هذه المسائل بسبب أنهم كانوا يدركون أنّ الموسى (وهم الأغلبية في بوركينافاسو) في الأصل عبدة الأوثان فلذلك بدؤوا بمحاربة الوثنية التي تعتبر الشرك بالله وخاصة رؤساء القبائل بدليل أنّ الملك إذا أسلم يُسلم معه أتباعه تطبيقا لمقولة "الناس على دين ملوكهم".

صعوبات واجهت الحجاج الأوائل في الدعوة:

إنّ تلك النجاحات التي حققوها لم يكن تحقيقاً سهلاً، بسب جملة من المصاعب التي كانت تعترض طريقهم، منها طبيعة بلاد الموسى المذكور أعلاه والتي تعتبر أحد أبرز العوائق التي واجهتها الدعوة الإسلامية في بوركينافاسو. أما الصعوبة الثانية فتتمثل في الدعم والسند الذي تقدمه المراكز النصرانية من أجل العمل على التنصير في أوساط المسلمين ووقوف الاستعمار ضد العلماء الفطاحل من المسلمين وتعذيبهم. هذا وقد أدركت الإدارات الاستعمارية قوة الحرية الجديدة التي كانت يمثلها هؤلاء الدعاة من العلماء والحجاج فقاومهم الاستعمار بشدة حيث ألقي القبض عليهم وأبرزهم مايلي: [٢٠]

١. الشيخ أبوبكر ميغا الأول وهو شيخ الطريقة التجانية في نميسجما (قرية رحمة الله) في شمالي البلاد.
٢. المقدم مختار وهو دون الشيخ أو نائبه في منطقة (فوبي) محافظة سنماتينغا.

---

[١٩] ربيع محمد القمر الحاج، أثر الدعاة والحجاج والرحالة المسلمين في نشر الإسلام، مجلة دراسات أفريقية، العدد ١٧، رجب – رمضان ١٤٣٤هـ الموافق يوليو– سبتمبر ٢٠١٣م، الرياض – المملكة العربية السعودية ص١٢٥–١٢٦،

[٢٠] سيسي محمود مرجع سابق ص ٧–٨.

٣. المقدم علي في منطقة كيلا والملقب بـ (كيلموري) محافظة بام وسط البلاد.

يقول شهود عيان عن القبض على العلماء والدعاة والحجاج الأوائل(إنهم كانوا يقبضون على العلماء والأعيان والحجاج الأوائل ويذهبون بهم إلى مدينة "جرام بسام"عاصمة كوت ديفوار آنذاك ويغطسون رؤوسهم في براميل

مملوءة بالماء لفترة طالبين منهم الكف عن الدعوة الإسلامية وحث المسلمين على طاعة أوامرهم).

وبالرغم من تلك الصعوبات فإنّ الحجاج الأوائل تمكنوا من تحقيق عدد كبير من المكاسب للدعوة الإسلامية وتمكينها في البلاد حيث تحولت أعداد كبيرة منهم للإسلام في فترة مبكرة. ومما يؤيد هذه الحقيقة التوسع الواضح الذي حدث في انتشار الخلاوي في طول البلاد وعرضها وفي قرى متنائية والمساجد التي بُنيت بمجهود اتهم الخاصة.

وقد ساعد في تحقيق تلك الجهود عدد من العوامل المهمة منها مايلي:

١. الإيمان الراسخ لدى الحجاج الأوائل والعلماء والدعاة وعزمهم على نشر الإسلام مهما كلف الثمن ولكن انطلاقاً بقوله تعالى "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة".
٢. الاستقرار النسبي الذي ساد المناطق بعد مقاومة العلماء المسلمين والحجاج على التنصير والاستعمار.
٣. الأمن الذي بدأت تشهده فولتا العليا نتيجة ظهور مراكز للعلوم الإسلامية.

جهود الحجاج المباشرة:

- فمن جهودهم المباشرة تأثيرهم الواضح في المناطق التي يعيشونها مع السكان من التجار والمريدين والاحتكاك والتعايش السلمي بالروح الإسلامية الطيبة، هذا ما أتاح الفرصة لهؤلاء الحجاج للاستفادة والتعرف على الدين الإسلامي والدخول في الإسلام.[٢١]
- إنّ الحجاج كانوا بعد أداء فريضة الحج يحاولون أن يكونوا مثالا يحتذى به في الإسلام لذلك نجد الناس يقبلون منهم النصيحة.
- ومن جهودهم المباشرة أيضاً في مجال نشر الدعوة الإسلامية في أوساط المجتمع إتاحة الفرصة لمن أسلم منهم أداء فريضة الحج والمناسك في صحبتهم والسفر مع من ينوي الذهاب إلى الحج.

---

[٢١] ربيع محمد القمر الحاج، مرجع سابق ص١٢٥.

جهود الحجاج غير المباشرة:

أما المساهمات غير المباشرة للحجاج في مجال خدمة الدعوة الإسلامية فإنها تنحصر غالباً في توفير المعلومات الضرورية عن أهم الطرق المؤدية إلى أراضي الحجاز بالتسلسل ثم الصدق والوضوح في تلك المعلومات والمسافات الفاصلة بين دولة أو مدينة وأخرى مع بيان أنسب الوسائل التي تتفق مع تلك البيئة حيث ذكروا أنّ معظم الحجاج المسافرين يستخدمون الحمير لحمل أمتعتهم كوسيلة تناسب المسافرين بسبب صبرها وقوة تحملها وأحياناً أخرى يفضلون الإبل بسبب تحملها للعطش خصوصاً في ظل ندرة المياه وقلة مواردها في المنطقة.

وقد استفاد الحجاج كثيرا من هذه المعلومات فأصبحوا يتخيرون أنسب الحمير والإبل وأصحها وأقصر الطرق وأكثرها أمنا للسفر لبلاد الحجاز.

كما قدمت هذه العناصر معلومات أخرى استفاد منها الحجاج المهاجرون، منها ما يتعلق بأماكن توفر المياه الصالحة للشرب عبر طرق القوافل وأسماء أهم الآبار الموجودة على طول الطريق القاصد من بوركينافاسو (فولتا العليا سابقا).

المخاطر التي واجهها الحجاج:

- كان الحجاج يتعرضون للمخاطر ومن أشد هذا الخطر هو النهب والقتل في الطريق من قطاع الطرق.[٢٢]
- الضياع من الطريق الصحيح والتعرض لمعاناة نتيجة شح المياه والموت جوعاً أو عطشاً.
- ومن المخاطر كذلك العوامل الطبيعية المتمثلة في الرياح العاتية التي كانت تغيّر مسار السفن وتهدد سيرها بالأمواج وتؤدي إلى إغراق السفن بمن فيها في حالة الارتطام بها. [٢٣]
- فكان كثير من الحجاج المسافرين يضطرون للعودة مرة أخرى للموانئ بسبب تلك المخاطر.

دور الحج في تصحيح المفاهيم الخاطئة:

يقول محمد عبد السلام عمر"عندما ذهبت إلى الحج من السودان التقيت ببني جلدتي من فولتا العليا في الكعبة أثناء الطواف فسلمت على واحد وتعرفت عليه ثم أخبرته بأنّ أبي من منطقة (كايا) وأنا ولدت في السودان، قال لي الحمد لله الذي أنعم علي بنعمة الحج فإننا في منطقتنا لا يسمحون لك أن تصليّ مع الجماعة في الصف الأول ما لم تكن حاجاً إذن أنا بعد الآن سأكون من الذين يصلون في الصف الأول، وتابع محمد عبد السلام قائلاً "سبحان الله"ما علاقة الحج بالصلاة في الصف الأول؟". لاشك أنّ هذا الأمر يدل على تعظيم شعيرة الحج لدى هؤلاء الناس ثم طلب منه فصل المسألة من أحد الشيوخ في الحرم الشريف.

ومن الاعتقادات الخاطئة أيضا أنّ الناس في فولتا العليا كانوا إذا أراد أحدهم السفر يخرج من باب المنزل وإذا رجع من السفر يشقون بابا آخر من خلف المنزل ويدخل من هناك مثلما كان يفعله العرب في الجاهلية أيضاً وذلك للفهم المغلوط للآية الكريمة لقوله تعالى "وليس البرّ أن تأتوا البيوت من

---

[٢٢] نفس المرجع ص١٢٦

[٢٣] المرجع نفسه ص١٢٦.

ظهورها، ولكن البرّ من اتقى وآتوا البيوت من أبوابها، سورة البقرة". أقول إنّ بعض الحجاج تأثروا ثقافياً بهذا الفهم المغلوط فعندما يذهبون إلى الحج يخرجون من الباب وعندما يرجعون يصنعون باباً آخر من الخلف ويذبحون ذبيحاً في الباب حتى يدخل الحاج الجديد منه. ولكن مع مرور الزمن تراجع الناس عن هذا الفعل.

ومن المعتاد أيضاً في بوركينافاسو (فولتا العليا سابقاً) أنّه في بعض المجتمعات إذا رجع الحاج بعد أدائه فريضة الحج وناداه شخص آخر باسمه دون أن يقول الحاج فلان لا يرضى وقد يحذرك من ذلك شفاهة وحتى بعض المجتمعات ترغم القائل بدفع قيمة ٢ كيلو سكر نقداً.[٢٤]

ومن المفاهيم المغلوطة أيضا أنّه إذا لبس شخص لم يؤد فريضة الحج العقال السعودي أو العباية السعودية للرجال يُنظر إليه كشخص مخالف للشرع.

أضف إلى ذلك أنّ الحاج إذا رجع إلى بيته لا يعاشر زوجته إلاّ بعد مرور أربعين يوماً، كما أنّه لا يرتاد الأسواق إلاّ بعد مرور أربعين يوما. ولا قدّر الله إذا وقع في الفاحشة حاجٌ يُعتقد أنّ حجه مردودٌ ولا يصح حجه إلاّ أن يحج من جديد.

من العادات والتقاليد النابعة عن ثقافة الحج أيضاً أنّ الشباب يعتقدون أنّ أداء فريضة الحج يكون في آخر عمر الإنسان والسبب في ذلك أنّهم يربطون التقوى بالحج وبعبارة أخرى أنّ الإنسان إذا حج وهو صغير فإنّ حجه سيمنعه من ملذات الدنيا وزينتها فلذلك الأفضل أن تحج في آخر عمرك.

الطور الثاني ويسمى بالطور الإصلاحي:

هي الفترة التي دخلت الدعوة الإسلامية في مواجهة مع المؤثرات الثقافية الداخلية على المجتمعات الإسلامية، كما أخذت في معالجة بعض الانحرافات التي سادت في أوساط تلك المجتمعات؛ كأن يعتنق بعض الناس الإسلام ويصلي ويصوم ويؤدي كل الواجبات ولكنه لا يزال يتمسك بالسحر والإيمان به فعلى سبيل المثال يروي لنا الشيخ عبد الكريم من شيوخ بوركينافاسو أنّ السحر أصبحت ثقافة في بعض المناطق حيث ذكر أنه (مع العلم أنه تاب توبة نصوحاً) قال عندما كانوا أولاداً صغاراً ويرعون الأغنام كانوا ينظمون مسابقات ومنافسات في معرفة السحر أثناء الرعي في الغابات وهم صغار وإذا غلب عليهم الأمر يرجعون إلى الكبار في البيت. وبعبارة أخرى أصبح معرفة السحر والعمل به واجب على كل إنسان منذ الطفولة في هذه المناطق فتعلُّم السحر أصبح مثل الروضة للأطفال [٢٥]، وبعون الله قلّلت هذه الظاهرة في تلك المناطق من أجل الدعوة التي قام بها الدعاة والحجاج.

اقتصادياً نجد أنّ الحجاج أدخلوا بلاد الحجاز من بوركينافاسو زيوت أشجار الكاريتيه التي تدخل في الغذاء وفي التصنيع الغذائي بالإضافة إلى ثمرات الكولا وهي ثمار تدخل في كل المناسبات في أفريقيا الغربية مثلها مثل التمور، كما أنهم يحملون معهم الذهب ويبيعونه ويشترون من ثمنه الجلاليب والعبايات وبذلك أدخلوا الثقافة العربية في بوركينافاسو في اللبس.

---

[٢٤] مقابلة مع سيد محمود ويدروغو بمنزله في الانقاذ، الخرطوم، السودان بتاريخ ٢٠١٦/٠٩/١٢م

[٢٥] محاضرات الشيخ عبد الكريم،حول السحر،قضى ١٩ سنة في عمل السحر ثم بعون الله تاب توبة نصوحا وهو من أبناء نمينتينغا بوركينافاسو، ٢٠١٥م

الطور الثالث ويعرف بالطور الإزدهاري:

في هذه الفترة تم فيه الإندماج بين الدعوة الإسلامية وبين المؤثرات الإسلامية الموجودة، ويتبدّى في هذا الطور الطابع المحلي للثقافة الإسلامية. شرعت العناصر الإسلامية الوطنية من أبناء المسلمين والعلماء في تأسيس كيانات تشربت بالثقافة الإسلامية وعملت بدورها على نشر الإسلام مثل الجمعية الإسلامية في وغادوغو والعديد من الخلاوي القرآنية والطرق الصوفية وغيرها. اندمجت الثقافة العربية بلغة موري الأكثر تحدثاً في بوركينافاسو من قبل الحجاج الجدد الذين نقلوا إلى لغة موري بعض المفردات أصبحت متداولة في أوساط المسلمين بل أصبحت بعض المفردات يُنظر إليها كأنها موري الأصل مثل كلمة عافية في اللغة العربية تحولت إلى (لافية) أو (لافي) وكلمة (بركة) تارة بمعنى شكرا وتارة أخرى بمعنى بركة كما في اللغة العربية والزكاة هي (زَكَّ) والمربّي يقال له (مُوري) بمعنى فقيه أو شيخ وكلمة (الحج) هو الحج نفسه وكلمة (مسلم) يقال له (لحلامَ) وهكذا دواليك. وبفضل الحجاج والتجار كانت بعض الكتب الفقهية والأدبية واللغوية تدخل إلى بيوت المسلمين وعند التجار الذين كان لهم احتكاك بالتجار العرب.[٢٦]

ولبعثة الأزهر الشريف دور عظيم في إنعاش اللغة العربية في بوركينافاسو حيث يقومون بالتدريس والوعظ وتأهيل المعلمين وتدريبهم.

وأوّل مدرسة نظامية للغة العربية والدراسات الإسلامية أسست قبل فجر الاستقلال مدرسة السلام عام ١٩٤٧م ثم توالت بعدها المدارس العربية والإسلامية بعد الاستقلال مثل مدرسة الجمعية الإسلامية ومدارس أخرى كثيرة.

أصبحت المدارس العربية والدراسات الإسلامية تتطور من حيث الكم والكيف وأصبح الإقبال يتزايد عليها بفضل الله تعالى ثم بفضل الثمار التي أعطتها هذه المدارس في إعداد مواطنين صالحين يحبون دينهم ووطنهم.[٢٧] والآن يوجد ما لا يقل عن ثلاث جامعات تدرّس باللغة العربية.

المبحث الرابع: الرؤية المستقبلية في طرق الحج التقليدية والحديثة:

ظهور الطائرة ومن قبلها الباخرة والسيارة أحدث تحولاً نوعياً في السفر للحج، ولكن مع ذلك فإنّ الملايين من المسلمين في أفريقيا لا يملكون إمكانية كافية لأداء فريضة الحج بالطرق الحديثة خاصة بالطائرات والتي بلغت تكلفة الحج للعام ٢٠١٦م في بوركينافاسو ما لا يقل عن ٥.٠٠٠ آلاف دولار الأمريكي.

ويسعد الباحث في هذه السانحة أن يذكر مشروع إحياء خط سكة حديد كسلا الجنينه وربطه بالخط الحديدي العابرة للقارة الأفريقية. وفي وقت سابق في ٢٠٠٨م تقدم السودان بمقترح للمؤتمر الإسلامي لربط دول غرب أفريقيا من داكار حتى بورتسودان. وينبغي الذكر أنه عُقد مؤتمر في الخرطوم

---

[٢٦] سيسي محمود، دور اللغة العربية في إعداد المعلم الناجح في بوركينافاسو، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس غير منشور،جامعة إفريقيا العالمية، ص٧.

[٢٧] المرجع نفسه ص٩.

في ديسمبر ٢٠٠٩م ثم في مايو ٢٠١٠م وخصص السودان قطعة أرض مميّزة بالخرطوم لبناء رئاسة المشروع عليها. ويذكر أيضا أنّ طول هذا الخط القاري سيكون حوالي ١٠.٠٠٠ كم منها حوالي ٦.٠٠٠ كم قائمة حالياً والباقي ينظر في إنشائه. ويحتاج ذلك إلى التنسيق مع دول غرب أفريقيا. وبالطبع إذا بني هذا الخط سيكون عملاقاً. إنّ بناء هذا الخط سينجز أهداف دينية لأنه سيحقق أمنية الملايين من المسلمين في أفريقيا لأداء فريضة الحج خصوصاً مسلمي أفريقيا الغربية،وبذلك فقط أحيينا طرق الحج في أفريقيا.[٢٨]

أما الطرق الحديثة فهي الآن مواكبة للتكنولوجيا ولابد للدول الإسلامية التعامل مع هذه التطورات الحديثة بدقة متناهية حتى تبقى الشعائر الإسلامية على أصولها. كما أنّ مستقبل الطرق الحديثة مهم للسلطات السعودية والأفريقية التي لا تغفل حجم ضيوف الرحمن الذين يتوافدون سنويا بشكل متزايد نظراً لسهولة الطرق الحديثة وإمكانية تحمل الطائرات أعداداً كبيرة بما يتناسب مع التوسعات التي تحدث في المسجد الحرام والتي تتيح مستقبلاً لعدد هائل من الحجاج أداء الطواف وبقية الشعائر في آن واحد دون مشكلة.

[٢٨] مصطفى محمد خوجلي، تقويم إحياء خط سكة حديد كسلا وربطه بمشروع الخط الحديدي العابر للقارات، مجلة دراسات أفريقية العدد ٥٤، ديسمبر ٢٠١٥م. جامعة إفريقيا العالمية. ص٢٦.

الخاتمة والتوصيات والمقترحات:

تتناولت هذه الدراسة الموقع الجغرافي لبوركينافاسو (فولتا العليا سابقا)، حيث كانت قسماً من مملكة مالي الإسلامية منذ القرن الخامس عشر ونالت استقلالها في عام ١٩٦٠م وتم تغيير اسم البلاد من فولتا العليا إلى بوركينافاسو.دخل الإسلام إليها عن طريق التجارة ودخلت معه اللغة العربية.

طرق الحج القديمة في بوركينافاسو الأساسية قسمان هما:

١) الأولى من فولتا العليا إلى القاهرة عبر مالي ثم إلى الحجاز على الأقدام.

٢) والثانية من فولتا العليا إلى السودان عبر النيجر ونيجيريا والكامرون وتشاد ثم إلى الحجاز على الأقدام وهذا النوع هو الأكثر استخداماً.

أما الطرق الحديثة فتتم الإجراءات عبر وكالات السفر للحج والعمرة بالتنسيق مع السلطات الوطنية والسعودية ويتم السفر بالطائرة.

أجرت مقارنة بين طرق الحج القديمة والحديثة من حيث الآثار والنتائج.

لرحلة الحج آثار على المجتمع البوركينابى اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً حيث عمل بعض الحجاج من فولتا العليا منذ القدم حراساً للكعبة المشرفة ولأمراء السعودية، وكان للحجاج أثر في الدعوة ونشر الدين الإسلامي على ثلاثة أطوار وهي التكويني والإصلاحي والطور الازدهاري.

التوصيات والمقترحات:

- إحياء طرق الحج القديمة لتحقيق أمنية الملايين من المسلمين في أفريقيا و ذلك بإحياء خط سكة حديد كسلا الجنينه وربطه بمشروع الخط الحديدي العابر للقارات.
- أن يعمل هذا المؤتمر على إعداد موسوعات عن اللغة والثقافة والآثار الإسلامية التي خلفتها طرق الحج في أفريقيا.
- يرجى من مراكز البحوث الإسلامية المختلفة إجراء بحوث ودراسات سنوية عن الحج ويقدم عليها جوائز قيمة للاستفادة منها للحج.
- أن يعالج هذا المؤتمر مشكلة تأشيرة العمرة والحج من أجل توفير فرص أوسع للمسلمين لأداء فريضة الحج والعمرة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

- القرآن الكريم
- مقابلة مع أبوبكر كوندا من أبناء بوركينافاسو ، وباحث في علم اللغة التطبيقي، جامعة أفريقيا العالمية لنيل درجة الدكتوراه، بتاريخ ٢٠١٦/٨/٢٦م، الخرطوم– السودان
- مقابلة شخصية مع الحاج إسحاق عبد الله عمر قدم من محافظة –كودوغو–فولتا العليا قاصدا الحج منذ الستينيات من القرن الماضي ماشيا على الأقدام، موضوع المقابلة طرق الحج القديمة من فولتا العليا إلى مكة المكرمة، ٢٠١٦/٧/٣١م الساعة ٦ مساء بمنزل محمد عبد السلام أحمد عمر، بحيّ عد حسين، الخرطوم– السودان.
- مقابلة مع محمد عبد المؤمن موسى،شاهد على العصر و موظف سابق قنصلية فولتا العليا عام ١٩٧٦م، دارت المقابلة في منزله في السجانة،الخرطوم – السودان. بتاريخ ٢٠١٦/٨/٧م.
- مقابلة مع محمد ألفونس، موظف في قنصلية فولتا العليا منذ ١٩٨٠م حتى الآن، ودارت المقابلة في منزله في مايو، الخرطوم – السودان بتاريخ ٢٠١٦/٨/١٣
- مقابلة مع الحاجة عائشة يونس عبد الله، المعروفة بالحاجة عائشة صوري، دور المرأة في طرق الحج القديمة، جرت المقابلة في منزلها في الحاج يوسف، الخرطوم، السودان، ١٣بتاريخ /٢٠١٦/٨م.
- مقابلة مع الشيخ سيساغو حميد شاهد على العصر، من أبناء الحجاج الأوائل من محافظة سانماتينغا. داخلية المودودي، جامعة أفريقيا العالمية بتاريخ ٢٠١٦/٩/٤م.
- مقابلة مع باحث الدكتورة سيد محمود ويدروغو بمنزله في الانقاذ، الخرطوم، السودان بتاريخ ٢٠١٦/٠٩/١٢م

ثانيا: المراجع:

- ربيع محمد القمر الحاج، أثر الدعاة والحجاج والرحالة المسلمين في نشر الإسلام، مجلة دراسات أفريقية، العدد ١٧، رجب – رمضان ١٤٣٤هـ الموافق يوليو– سبتمبر ٢٠١٣م، ص١٢٥–١٢٦.
- مصطفى محمد خوجلي، تقويم إحياء خط سكة حديد كسلا وربطه بمشروع الخط الحديدي العابر للقارات، مجلة دراسات أفريقية العدد ٥٤، ديسمبر ٢٠١٥م. جامعة إفريقيا العالمية. ص٢٦.
- سيسي محمود، تقويم أساليب الإشراف التربوي في المدارس الابتدائية الفرنسية الحكومية وتطبيقها في المدارس الابتدائية العربية الفرنسية الأهلية في بوركينافاسو، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، الخرطوم،٢٠٠٧ ص ٢٠.
- سيسي محمود، دور اللغة العربية في إعداد المعلم الناجح في بوركينافاسو، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس غير منشور،جامعة إفريقيا العالمية، ص٧.
- محاضرات السفير الدكتور عمر عبد الماجد،المركز القومي للدراسات الدبلوماسية، وزارة الخارجية، ٢٠١٥م الخرطوم، السودان.
- عمر عبد الماجد، تاريخ الدول والإمبراطوريات الإسلامية في السودان الغربي والأوسط، مركز الدراسات، الخرطوم، ٢٠٠٥م.
- محاضرات الشيخ عبد الكريم،حول السحر،قضى ١٩ سنة في عمل السحر ثم بعون الله تاب توبة نصوحا وهو من أبناء نمينتينغا بوركينافاسو، ٢٠١٥م.

ثالثا: مواقع الإنترنت:

- http://www.gov.bf
- http://fr.wikipedia.org/wiki/Burkina_Faso
- http://www.alukah.net/world_muslims
- https://ar.wikipedia.org/wiki
- http://archive.aawsat.com/details.asp